● ليست عقدة التجاهل الاجتماعى .. تلك التى أرجع إليها الفنان فايز حلاوة سر الحملة التى يتعرض لها « فنان الموال الشعبى الناجح » أحمد عدوية ، من قبل المثقفين - ليست هى التى تسوقنى هنا لأن أنفس عن عذاب يسببه لى الذين يقتنون شرائطه ويديرون أجهزة التسجيل تصرخ بها ليل نهار وفى كل مكان أغنياته !!

يقتلنى أحمد عدوية وآخرون !

عبد العال الحمامصى

وما دامت ليست « عقدة التجاهل الاجتماعى » هى التى تحركنى .. فقد يتبادر أنه الحسد لرجل تنهال عليه « النقطة » بالمئات كل ليلة - يا ترى كم بلغ مرتب عالم الذرة المرحوم الدكتور مشرفة قبل وفاته ؟ - لست حاسدا - وحسرة فى عين اللى ما يصلى على النبى - أقولها صادقا فى مواجهة احتمال سيقول « يا ناس يا اشر كفاية فر » وغير ذلك من الحكم والمأثورات « واليافطات » التى يكتبها أصحاب التاكسيات وعربات اللورى وأصحاب محلات « الكشرى » والأكشاك التى تحولت فى الحارات الشعبية إلى « بوتيكات

لست حاسدا لهذا الذى كلما زعق « حبة فوق وحبة تحت » انهالت عليه النقطة بالدولارات والاسترلينى والريالات والدنانير والجنيهات من فوق ومن تحت !! وكله عاوز من كله !..

زاده الله من نعيمه وأكثر من نقوطه .. والدنيا حظوظ ومزاجات .. هكذا قالت لنا أغنية « مدرسة المشاغبين » .. المدرسة التى أصبحت مناهجها مقررة علينا ، ومأثوراتها « جهابذتها » تتردد الآن فى الشوارع والمقاهى .. المدرسة التى أصبحت منهجا فى السلوك .. وقديما كانوا يقولون لنا لندفعنا إلى المذاكرة والتحصيل « من طلب العلا سهر الليالى » أما الآن فالمطلوب من تلاميذنا وطلبتنا أن « يصموا » مأثورات عادل إمام وسعيد صالح والتلميذ الذى وصف والده ناظر المدرسة بأنه « مهروش » .. يا ترى من منظر لناظر مدرسة يقول لتلاميذه « مناخير أبوكم ملحوسة » لقد أصبحت هذه المدرسة تراثا قوميا تربويا يتحسرون به بين الحين والحين .. لدرجة أن التليفزيون - يوم كان الوطن يحترق بأحداث الشغب فى يناير - لم يجد غير مدرسة المشاغبين يقدمها إسهاما منه فى إنقاذ الوطن وإطفاء الحريق !!

الطلبة تذهب بى بعيدا .. ولكن الحديث ذو شجون . كما كان يقول الدكاترة زكى مبارك . هل تتذكرون رجلا بهذا الاسم وغيره من أمثال محمد فريد وجدى وأحمد محرم وسلامة موسى وسعيد العريان وفريد أبو حديد والمازنى وإسماعيل مظهر وغيرهم . هل تتذكرون هذه الأسماء فى غمار موجة محمد صبحى وعدوية والبدو قشوش والمعلم بيرة

كنت أتحدث عن عدوية ما الذى كنت أقوله آه تذكرت . كنت أتحدث عن الحسد لا أحسده . فأنا من البداية كنت أعرف وقد أدركنى بؤس حرفة الأدب .. والشهادة لله أنها لم تدر لى بأى شىء لفت خلفها .

أعرف أننى اخترت . وأعرف يقينا أن نظارتى مصلحة الضرائب كلها فقدى المزاج وكتبت قصة .. فلاحقنى بالخطاب تلو الخطاب لإحضار المستندات . وأصرف ما يبقى من قروش المكافأة بعد خصم ضريبة المتبع فى اللف على كل المصالح والأجهزة التى يخجل أن يتعامل الأديب معها لإحضار شهادات رسمية بقيمة ما أخذت !!

لست حاسدا لأحمد عدوية ولكنى مريض به ثمة ميكروب ينهش مشترى ويسوط أعصابى كلما أطلقوا على صوته .. مزاجى هكذا . أليس من حق أن يكون لى مزاج ؟

لكن فى شارع الصناديل بالحجيرة . بالشارع ثلاث مدارس ومدرسة ثانوية ومكتب صحة ومسجد منه أقوله كان الشارع محتملا ومجأة وحسرة قدر تحول إلى موقف تريت كارو ومسرى خضار وأكشاك فى عرض الطريق وعربات يد وتلاتة زبالة ومناطف نوه وحوالات بشل وأسراب ذباب وقوص وحشرات أجيال أعرفها ولا أناه وليس هذا هو المهم أبدا .

ما أعنيه أن كل عربة كارو فى الشارع كل كشك كل فلة بمسارب أو مدرسة فراميط أو كوم بلاغ يعلوه جهاز تسجيل تنطلق منه شرائط أحمد عدوية كل بائعة خضار حولها ثلاثة من المخلوقات التى يسمونها أكياسا تمشى على الأرض هنا تزغد بدلا من المشى وعلى الشمال يرقد الرابع ومن فتحة الثوب تلقم الحامل تديها والجهاز على النغمة أو فوق النقطة وأحمد عدوية يزعق على آخر مدى وعينا أغلق الدقيق . عدوية يجلجل الحمدان يخلل الكشرى يوجع ويأسى ولا يبالى غير أن تصبح نسمة فى الدور الأرضى عضة وخانقة وأفتح النافذة أشم روحى عند تونل من شدة الحر . ونقاط الضوء فيتصرب العرق ويهجم الذباب وتنتشر رائحة الشارع

عبد الوهاب

الموسيقى تخاطب الوجدان

ويجتجل أحمد عدوية وتنسرى أعصابى أذهب إلى الشارع أترصد منهى عمل صاحبه عن اكتشاف أحمد عدوية وبعد قبيل يبث المعلم كيفه فيسير جهاز التسجيل المجاور لعلبة الفول فوق ترابيزة العلمة ويخرج لى أحمد عدوية !!

باظت أعصابى نصحنى الأصدقاء بأن أذهب إلى الإسكندرية بصحة أبوك تصادف هناك أن شاهدت فتاة صغيرة يعدكها ثلاثة أشطاح دفعتنى عشرينى الصعيدية لأن أتدخل .. نطقت بالكلمات أحمد شطح منهب الفتى حجرا قال لى لا تتقلف أحمد عدوية يبقى العبارة التانية ز أحمد ما أقوله ده داء يبقى صاحبة الحبرة التانية فكل شىء ميجع !! صحيحا استرشدى قال إذا كان الله ليس موجودا فكل شىء ميجع !!

وركبت تاكسى بالفشر وعدت من الطريق الزراعى . ظل السائق سد غافر سيدى جابر يقرعنى بأشرطة أحمد عدوية كلما فرغت الشرائط عاد من البداية ويوجدنى على حافة الجنون ماذا أفعل وكل الركاب عشاقه والدليل هذه التصفيقات المتغومة التى تحيط على إيقاع كلماته طلبت من السائق فى أدب أن يدير الراديو لنسمع شيئا نظر إلى فى استغراب ولكن الكتاب فى يدى أقنعه بأننى من أشد أنصاره أدار الراديو وهتف صاحب الشارع الغربى بتقدمته . وبعدها تدافعت موسيقى محمومة تلك لنفسى أرحم من عدوية بعد دقيقة واحدة اعترض الركاب الذين فى صوت واحد كان السائق ينتظرها !

عاد عدوية وليطيب السائق خاطرى قال لى الأغلبية بأبيه الأغلبية اه على العين والرأس . ارتع بأغلبيتك يا عدوية وحمى المجنون !

والآن هل فيك من مجد لى حلا قد أكون متحرف المزاج قاصر الذوق أعيش على أرباء يتهوفن وموزار وباخ وسيد درويش ومحمد عبد الوهاب وطيب الذكر المرحوم فريد الأطرش سكت لله ما سعد مكاوى وبليغ حمدى فوزى وبيرم تونس عكاشة فلتسم دماغى صغيرا لخرجت عن الموسيقى الراقية أقدمت قدمى على معاشة عاقرة آخر الزمن !!

هل فيك من مجد لى حلا من يشفينى من هذا المرض من حساسية أعصاب يسببها لى أحمد عدوية ؟

لقد خدعنى منذ البشاعة أولئك الذين حدثونى كثيرا عن الثقافة والنفس الرفيع وغيره فما أكثر الفكر فى قلة الحضارة ولا يخلى لى واحد منهم إننى سأتفق بأحمد عدوية والحرين فى نهاية الطريق !

●

● فى فيلم الفاتنة والصعلوك . ظهر أحمد عدوية كمطرب شعبى واستمر عرض الفيلم ١٥ أسبوعا .

عندما يغنى عدوية يأخذ العقل أجازة !

لو حذفنا الكلمات العجيبة من أغانى عدوية . ولم نستسلم لأوهام أصحاب الشهادات . وبقدر الإمكان كنا محايدين لنحاول أن نحلل لغز أغانى « الغرزة » التى يسمعها الأثرياء جدا فى الملاهى ويدفعون عليها النقوط . هل بعد ذلك نقبل ظاهرة أحمد عدوية ؟ !

عائشة صالح

جمهور عدوية هم رواد الملاهى والأثرياء جدا . يقول عدوية إن عبد الحليم حافظ أيضا من جمهوره . أخذه معه أكثر من مرة فى حفلات الأمراء وقدمه إليهم . وغنى لهما عدوية . يقول عدوية إنه هو الذى اقترح على عبد الحليم أن يعيد أغانيه القديمة . مثل أهواك وظلموه . وفعلا اقتنع عبد الحليم وغناها من جديد فى الحفلات . والصور تشهد . عندى صورة مع عبد الحليم فى نفس اللحظة الذى قلت له هذا الاقتراح .

يذهب الأثرياء جدا إلى ملاهى شارع الهرم يفرحون جدا إذا ظهر عدوية . أمام أى ملهى عدد هائل من العربات الأنيقة . كل عربة تركبها صاحبها ليسهر فى داخل الملهى . يأكل ويشرب فى نفس الوقت يرى رائصة ، ثم يسمع المطربين . إذا ظهر عدوية ضجت الصالة بالحيوية . وربما تركوا الأطباق والأكواب حتى يستمعوا إلى عدوية .

قلت لعدوية : إننى سمعت أغانيك . . .

قال : كم أغنية ؟

قلت : على الأقل سبع ساعات لأعرف ماذا تغنى .

قال : ليست هذه كل الإغانى

قال : ما رأيك ؟ .

قلت له : لمن تغنى يا عدوية ؟ بعنى أنى أرى جمهورك من أسلوب أغانيك .

قال : لا تظلمنى . الكاسيت ليس كل عدوية حقيقة عدوية أروع من ذلك . إذا غنيت للناس يكون للأغنية مستوى آخر . انتظرت حتى سمعت عدوية مرة . الغريب أن الجمهور معه كأنه فى مباراة كرة . إذا ظهر عدوية يسرى الحماس فى الجمهور . يتناثر حوله الكلام . والتحية . كأنه يعرفهم وهم يعرفونه فإذا غنى اندمج الجميع معه . رغم أن هؤلاء ليسوا الجمهور الحقيقى لأحمد عدوية .

أول أغانى عدوية « السح الدح امبو » بيع منها ربع مليون اسطوانة فى عام ١٩٧٣ . قبل أن تطبع على كاسيت . أغنية « سلامتها ام حسن » مثلها

●● من يشترى الكاسيت والاسطوانة ؟ هل هم الأغنياء فقط ؟ هل هم المثقفون ؟ هل هم الموظفون ؟ هل البنات فى المدارس ؟ هل أبناء البلد ؟ من الذى يشترى ربع مليون اسطوانة ؟

● ليست الأغنية كلمات فقط . أضعف ما فى عدوية هو الكلمات التى يغنيها . نظلمه إذا اتهمناها بالخروج ليس فى الأغنية ما يخدش الحياء . إنما هى ألفاظ نوع من أبناء البلد . الذين يسهرون فى الغرزة . بين أكواب الشاى الأسود والأنفاس أبيضا . عادية أو غير عادية . ثم ينطلق الخيال . كل إنسان يحب . خيال الحبيبة هو الذى يسيطر على كلمات الأغانى . لكن الحبيبة تسكن فى حارة صغيرة . من داخل حارة . هى بنت بلد . بالمنديل أبو أوية والألفاظ التى يستعملها أبناء الغرزة فى الغزل . واللفظ يجر اللفظ والجملة تجىء بالجملة بعدها . لا يجرى الكلام بالمنطق المألوف فى الأغانى . الكلام فى أغانى عبد الوهاب له منطق . والكلام فى أغانى أم كلثوم . وعبد الحليم له منطق . منطق الذين يستعملون عقولهم دائما . أو أحيانا . ومنطق الخيال الذى يحب بنت القصور أو فتاة الجامعة أو الموظفة من الطبقة المتوسطة . عدوية يغنى من منطق آخر هو منطق بنت البلد التى أبوها نجار وأخوها سباك وأختها تعمل فى مخبز أو فى بقالة . المستوى الذى ينساب فيه الخيال هو الحارة المدودة . وبنت الحارة والسهر فى الغرزة حتى آخر الليل . لا يكون الكلام متماسكا فى خياله بالمنطق المألوف . إنما بمنطق خاص به يشبه منطق الأحلام . تتداعى المعانى فيه لأقل ارتباط عدوية له أغنية اسمها بنت الأمير .

● قريب لى مريض . . زرته فى المستشفى . بجانبه جهاز تسجيل . سألنى هل سمعت عدوية . . لما دخلت المستشفى وجدت أكثر الأطباء لديهم تسجيلات له . والممرضات سألنى طبيب من الأصدقاء هل سمعت عدوية الأفضل ان تسمعه معى . . أحضر جهاز التسجيل وأسمعنى أغانيه . . وسمعت عدوية . . ليس الكلام هو كل شىء . . اللحن فيه شىء . . وهذا الصوت ماذا فيه . . لماذا أصبح شيئا لازما فى أفراح عدد كبير من الأسر . فى الشارع تسمع ألفاظا من أغانيه . . وقال لى قريبى إن بليغ حمدى لحن له أغنية « بنج بنج » وأغنية اسمها « اسمعين » وأحمد فؤاد حسن لحن له اغنيه « ميت قل وعشرة » وسيد مكاوى لحن له « سيب وانا اسيب » فاروق سلامة لحن له سلامتها ام حسن حسن أبو السعود لحن له « بنت الامير » عدوية نفسه لحن لنفسه . . إنه يجيد العزف على الناى . . أحيانا يكتب الكلمات ويلحن مثلا :

الناس لها حب واحد . . وانا ليه فى البلد غشه . . ادى حب بحرى البلد وحب قبلها . .

وحب غرب البلد .. وحب شرقيها .. وحب وسط البلد .. وأنا الى اتوه فيها ..

● بلد الشهادات . التعيين باليكالوريوس والليسانس . والذى لا يحمل شهادات لا يكون مثقفا . عدوية بلا شهادات . ولا الابتدائية . إنه يفك الخط بصعوبة . لكنه وقف أمام الشهادات الموسيقية كلها . وأمام الإذاعة والتليفزيون وامام النقاد . قال إننى هنا أغنى . فما رأيكم ؟

ربما أكبر جمهور للمطربين الآن هو جمهور أحمد عدوية لأنه من قطاع ينسى فى المجتمع . فى بلدنا فرص كثيرة لأبناء المهن البدوية لأصحاب الحرف . المؤهلات العالية يعملون موظفين . فى بلدنا فرص السفر صعبة لكن عمال النجارة والبناء . والسباك والكهربائى . أى عمل يدوى أو فنى مطلوب فى الدول العربية يسافر الكهربائى . يعود غنيا لا يسافر فيرتفع الطلب عليه . وجد هذا القطاع الكبير فرصته فى السنوات الأخيرة . ووجد ديمقراطية . يستطيع أن يتكلم . ويعبر . لديه رغبة فى التعبير . ولا أحد يمنعه من التعبير . فإذا وجد من يرفع رأيه ويعبر عنه فإنه يتعلق به . فى السياسة أو الفن .. عدوية وجد نفسه يعبر بالأغنية عن هذه الطبقة وهو منها يفكر مثلهم يتخيل بنفس أسلوبهم . ألفاظهم . التراكيب . منطق النظرة إلى الأشياء . لذلك انتشرت بينهم . جمهور عدوية من أبناء البلد ومن الحرفيين ويمتد جمهوره إلى أى عامل . وأى فلاح .. امتد بعد ذلك إلى أى مثقف وأى واحد من الأثرياء .

● الموهبة غير الشهادة . موهبة عدوية فى أنه يملأ الجو عندما يغنى . هذه حقيقة . لا حظت أنه يدير أطول قامة . وأن بينه وبين الجمهور ألفة عميقة . لا حواجز . الحوار مستمر بينهم وبينه . حتى وهو يغنى يخرج البعض يقف بجانبه . وتلمع الكاميرا لتسجيل هذا فى صورة . عدوية مستمر يغنى . يخرج غيرهم . يدفعون « النقوط » عشرة جنيهات ربما عشرين يأخذها عدوية دون مبالاة . كأنها من ابنه أو أبيه وهو مستمر فى الغناء .

ما الذى تشعر به وأنت تستمع إلى عدوية .. نحاول تبين الأحاسيس بالدقة .. إنها نفس الأحاسيس مع عبد الحليم فى بداية الطريق أيام غنى : يا مفرقين الشموع قلبى قلبين الحب عمره سنة والهجر عمره سنين .. أيام أغنية : خسارة خسارة .. فراقك يا جارة . لا تملك إلا أن تشعر بأن عبد الحليم ليس غريبا كأنه أخ أو ابن . يعنى أن بينك وبينه صلة . هذا بالضبط ما ساعد عبد الحليم ، موهبته الحقيقية أن فى قلبه رحم نسميها فى دراسات الإعلام « نظرية الاتصال » الإشعاع الذى يزيل الحواجز ليربط بين القلوب لا شأن لهذا الإشعاع بشهادات الجامعة ولا المدارس . إنه موهبة وحده . أعطى الله منها لعبد الحليم وأعطى منها لأحمد عدوية . يختلف المستوى والدرجة . لكن الرحم موجودة . فإذا القلوب تتفتح له . حتى ولو لم يدخل المدرسة .

● ● فإذا ذهب الأغنياء إلى الملهى تركوا عقولهم خارجه . الذى يدخل الملهى هو الجسد ، الذى يريد أن يأكل ويشرب والرغبة فى الاستماع الذى لا يحرك العقل . إننا نذهب إلى الملهى لنعطى العقل إجازة ، ولا نريد أن تستعمله ما دمنا هناك .

● كيف يستمعون . ترقص الراقصة . الموسيقى مع الراقصة تكاد توقظ النيام فى آخر شارع الهرم . لأنها زاعقة . ضجة عالية . حتى تشد إنتباه الجمهور . وأى واحد على مائدة . على مائدته ما يشده .. وعلى الراقصة أن تنزعهم من المائدة ليلتفتوا إليها . والمطرب أيضا يغنى وعليه أن ينتزع رواد الملهى حتى لا يهتموا بالمائدة وما عليها أكثر منه .. لكن عدوية أكثر المطربين نجاحا فى جذب الانتباه . يقف ممدودا . فيه اعتداد . واثق من شعبيته . يلاغى الجمهور .. الجمهور يلاغيه أيضا . إذا بدأ يغنى يبدو أن قامته أطول . وأنه تغير فأصبح وسيما وسرى فى الجمهور حيوية وحماس . عدوية يغنى بهذه الحيوية . إنه يعبر فى الكلمات التى لا معنى لها معانى من حيويته . لأنه مندمج بعمق . رغم أنه يلاغى الجمهور ، ويستجيب لمعاكسات الجمهور . شىء غريب فى عدوية أنه ينشر الحيوية فى المستمعين له ، وفى الكلمات التى يغنيها ، وفى اللحن ، ولا يتخلى عن اندماجه فى الأغنية أبدا . هذه الحيوية التى يغنيها على جمهوره هى جزء من أسرار عدوية . تتحدد بها موهبته الأساسية التى منحها الله له . وهى التعاطف والتراحم الذى يذيب الحواجز والذى نسميه « القبول » وهذا القبول لا سلطان لأحد عليه إنه من عند الله ..

● لما ظهر عدوية فى السينما أحدث دويا .

يقول الناقد عبد المنعم سعد فى كتابه الجديد « السينما المصرية فى موسم » . عن هذه الظاهرة :

« لعل أهم ما يلفت النظر فى فيلم « الفاتنة والصعلوك » هو ظهور المطرب الشعبى أحمد عدوية فى أول أفلامه السينمائية لمدة عشرين دقيقة فقط .. كبائع فول فى حارة يغنى أغنيتين هما « حبة فوق وحبة تحت » ثم « كله على كله » ويهتف الجماهير ليس فى الصالة فحسب وإنما أيضا فى مقاعد اللوج وشرفات دار السينما ويمتلىء شارع طلعت حرب كل ليلة وكل حفلة بآلاف المشاهدين لسماع مطرب « السح الدح أمبو » .

● ● ماذا حدث وماذا جرى للسينما المصرية .

استمر الفيلم خمسة عشر أسبوعا وحقق إيرادا ٤٤ ألف جنيه فى سينما ميامى فقط من أجل صوت عدوية وكأن الجمهور يستمع إلى صوت أم كلثوم أو كأنه يستمع إلى داليدا فى مسرح أوليمبيا بباريس أو عبد الحليم فى فندق شيراتون أو ديسى فى نادى الجزيرة !!

لماذا يتهافت الجمهور على دار السينما ليسمع صوت عدوية ؟ هل لأنه يغنى لكان الحوارى والأزقة وهو يجيد كفاح مطرب بدأ من القاع .. ويعبر عن ابن البلد المطحون ؟ أو لأن صوته حرم من أجهزة الاتصال الرسمية من إذاعة وتليفزيون فأصبح كالفاكهة المحرمة التى تغرى الناس ليذوقوها ؟ ربما . هل هو ظاهرة شعبية تحقق أملا فى أكثر الطبقات وغما كما نجح محمد الكحلاوى فى أفلام الأربعينات والخمسينات ؟ ربما . هل لأنه يعبر عن مشاكل الناس التى تخنق تفكيرهم ولأنه يمثل الرفض العبثى ؟ ربما . أو لأن عدوية يغنى كلاما فارغا فى وسط مجتمع منافق وهو نوع من المخدرة اللا واعية تربح جدا على أساس تفريغ الهموم ؟ ربما . أو لأن أغانيه تخاطب الجانب المفتقد لدى الجموع الشعبية وهى التناقضات وما يمكن أن تنبه له من أذكار وعواطف فى أغان لا معنى لها ؟ ربما . أو لأن أغانيه مطلوبة كنموذج عن الأغانى الأخرى وهى نوع من التفريغ والتفريج عن النفس تماما كالأفلام البوليسية ؟ ربما . فى تصورى أن صوت أحمد عدوية هو مزيج من هذا كله وهو نمط جديد فى حياتنا الغنائية الشعبية » . انتهى كلام عبد المنعم سعد ..

● عدوية فى خطر . الخطر من داخل عدوية نفسه .. لأن الكلمات التى يغنيها لا تساعد على أن تكون أغنية محترمة . وأى فن لا يكون محترما لا يستطيع أن يستمر طويلا . كلمات أغانيه يجب أن تتغير إذا كان يريد أن يستمر نجاحه .

● ● وعدوية فى مأزق . إما أن يخطو إلى الأمام ليملأ الجو ، ويخطف الأضواء من بقية المطربين . وإما أن يكون مجرد موضة . ما قبلت أن ترتجه موضة أخرى . وعدوية هو الذى فى يده مصير نفسه .

● أغنيات عدوى تنتشر بأى كلمات وأى ألحان وهى بنت الليل .. تولد فى الملاهى وتأخذ ملامح الليل ... والملاهى .. وأغنيات عدوية أوسع انتشارا موجودة الآن بين المطربين والمطربات .